أسماء الرملية

كانت أسماء وأختها آمنة الرملية من العابدات الزاهدات المصطفيات من عابدات الشام .

الرملة : مدينة مشهورة فى فلسطين

* علمت أنها امرأة

يقول ذو النون المصرى :

خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام ، فبينما أنا فى الطواف إذ أنا بشخص متعلق بأستار الكعبة يقول فى بكائه :

كتمت بلائى من غيرك ، وبحت بسرى إليك ، واستغنيت بك عمن سواك

عجبت لمن عرفك كيف يسلو عنك ؟ ولمن ذاق حبك كيف يصبر عنك ؟

ثم أقبل على نفسه فقال :

أمُهِلَكِ فما أرعَوِيتِ ، وسُتِرَ عليك فما استحييت ، وسَلْبك حلاوة المناجاة فما باليت

ثم قال :

عزيزى : مالى إذا قمت بين يديك ألقيت على النعاس ومنعتنى حلاوة الخدمة ؟ لم قرة عينى لِمَهْ ؟

ثم أنشأ يقول :

روعت قلبى بالفراق فلم أجد شيئًا أمر من الفراق وأوجعا

حسب الفراق بأن يفرق بيننا ولطالما قد كنت منه مفزعًا

فلم أتمالك أن أتيت الكعبة مستخفيا ، فلما أحس بى تجلل تغطى ـ بخمار كان عليه

ثم قال :

ـ يا ذا النون غض بصرك فإنى حرام ـ الحرام مصدر ضد الحلال ، يستوى فيه المفرد مذكرا ومؤنثا ، فيقال : رجل محرم ـ

فعلمت أنها امرأة فقلت :

ـ والله لقد شغلنى قولك عن كثير مما كنت فيه

فقالت أسماء الرملية :

ـ ولم عافاك الله ؟ أما علمت أن لله عبادا لا يشغلهم سواه ولا يميلون إلى ذكر غيره؟

قال أبو الفيض :

ـ من أحمق الناس ؟

قالت أسماء الرملية :

ـ من ظن أنه أعقل الناس

فقال ذو النون :

ـ صدقت، فمن أعقل الناس ؟

قالت أسماء الرملية :

ـ من لم يتجاوز الصمت فى عقوبة الجهال

ثم قالت أسماء الرملية :

ـ يا ذا النون : متى يكون المرء صالحًا ؟

قال أبو الفيض :

إذا كانت النصيحة فى نيته والخوف فى قلبه والصدق فى لسانه ، والعمل الصالح فى جوارحه يقول تعالى فى حديثه القدسى : مامن عبد نزلت به بلية فاعتصم بى إلا أعطيته قبل أن يسألنى ، واستجبت له قبل أن يدعونى ، وما من عبد نزلت به بلية

فاعتصم بمخلوق دونى إلا أغلقت أبواب السماء عليه.

* اتقى الله لا تذهب الأخرى

وكانت أسماء الرملية إذا قامت من الليل قالت :

اللهم إن إبليس عبد من عبيدك ، ناصيته بيدك ، يرانى من حيث لا أراه ، وأنت تراه من حيث لا يراك .

اللهم إنك تقدر على أمره كله ، وهو لا يقدر من أمرك على شىء

اللهم إن أرادنى بشر فأرده ، وإن كادنى فكده ، أدرأ بك فى نحره ، وأعوذ بك من شره .

ثم بكت حتى ذهبت إحدى عينيها

فقيل لها :

ـ اتقى الله لا تذهب الأخرى

فقالت أسماء الرملية :

ـ إن كانت عينى من عيون أهل الجنة فسيبدلنى بها ما هو أحسن منها ، وإن كانت من عيون أهل النار فأبعدهما الله تعالى

* هل للمحب لله دلائل يعرف بها ؟

سألت أسماء الرملية البيضاء بنت المفضل :

ـ يا أختى : هل للمحب لله دلائل يعرف بها ؟

قالت البيضاء بنت المفضل :

ـ يا أختى : والمحب للسيد يخفى ؟ لو جهد المحب للسيد أن يخفى ما خفى

قالت أسماء الرملية :

ـ صفيه لى

قالت البيضاء بنت المفضل :

ـ لو رأيت المحب لله عز وجل لرأيت عجبا عجيبا من واله ما يقر على الأرض ، طائر مستوحش أنسه فى الوحدة ، قد منع الراحة ، طعامه الحب عند الجوع ، وشربه الحب عند الظمأ ، لا يمل من طول الخدمة لله تعالى

* سبق العبد سيده إلى الجنة

تقول أسماء الرملية :

كان رسول الله ﷺ يحدث أصحابه ذات يوم عن سبق الفقراء إلى الجنة فقال أبو ذر الغفارى :

ـ يا نبى الله : أخبرنى بجلساء الله يوم القيامة

فقال حبيب الرحمن ﷺ :

ـ هم الخائفون الخاضعون المتواضعوان الذاكرون الله كثيرا

فقال أبو هريرة :

ـ يا رسول الله : أهم أول الناس يدخلون الجنة ؟

قال السراج المنير ﷺ :

ـ لا

فقال أبو الدرداء :

ـ فمن أول الناس يدخل الجنة ؟

قال أبو القاسم ﷺ :

الفقراء يسبقون الناس إلى الجنة فيخرج إليهم منها ملائكة فيقولون:

ـ ارجعوا إلى الحساب

فيقولون :

ـ على ما نحاسب والله ما أفيض علينا من الأموال فى الدنيا شىء فنقبض فيها ونبسط وما كنا أمراء نعدل ونجور ، ولكنا جاءنا أمر الله فعبدناه حتى أتانا اليقين ـ الموت ـ

فقيل :

ـ ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين

وتبسم النبى الخاتم ﷺ وقال :

إن رجلا دخل الجنة فرأى عبده فوق درجته

فقال :

ـ يا رب : هذا عبدى فوق درجتى ؟

فقال الله عز وجل :

ـ نعم جزيته بعمله وجزيتك بعملك (رواه العقيلى ، والخطيب عن أبى هريرة) .

* لو رأيت فى الجزع مدركا ما اخترت عليه

ذات ضحى كانت أسماء الرملية تتوضأ فرآها رجل ، فلما فرغت من وضوئها قال :

ـ ما رأيت مثل هذا الحسن وهذه النضارة وما ذاك إلا من قلة الحزن .

فقالت أسماء الرملية :

ـ يا عبد الله : والله إنى ليذبحنى الحزن ما يشركنى فيه أحد

فتساءل الرجل :

ـ وكيف ؟

قالت :

ذبح زوجى شاة مُضحيًا ولى صبيان يلعبان فقال أكبرهما للأصغر :

ـ أريك كيف صنع أبى بالشاة ؟

فعلقه وذبحه ، فما شعرنا به إلا متشحطا ـ مضرجا بدمه ـ

فلما استعلت الضجة هرب الغلام ناحية الجبل فرهقه ـ لحقه ـ ذئب فأكله ونحن لا نعلم ، وأتبعه أبوه يطلبه فمات عطشا ، فأفردنى الدهر

قال الرجل :

ـ فكيف صبرك ؟

فقالت أسماء الرملية :

ـ لو رأيت فى الجزع مدركا ـ دركا ـ ما اخترت عليه

* قد فعلنا ولدينا مزيد

يقول جعفر بن محمد وهو صاحب الفقيه العابد الزاهد بشر بن الحارث :

اعتل بشر بن الحارث فعادته آمنة الرملية ، وبينا هى عنده إذا دخل أحمد بن حنبل يعوده .

فقال :

ـ من هذه ؟

فقال بشر بن الحارث :

ـ هذه آمنة الرملية بلغها علتى فجاءت من الرملة تعودنى

فقال أحمد بن حنبل :

ـ فسلها تدعو لنا

فقالت آمنة الرملية :

اللهم إن بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل يستجيرانك من النار فأجرهما

يقول أحمد بن حنبل :

فانصرفت

فلما كان من الليل طرحت إلى ورقة مكتوب فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

(قد فعلنا ولدينا مزيد)

* * *